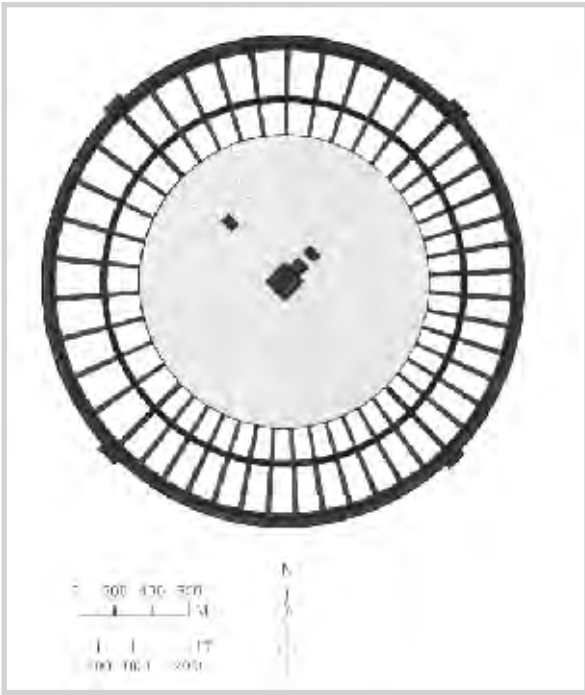


# دعوة عرفات الحاشق بغداد مشروع إعادة بناء المدينة المدورة في الكرخ



أن تؤخذ بالحسبان بعض التحسينات في الأداء الهيكلي، و التغييرات والإضافات في موقع المشروع، على أن تحترم المقاييس الفنية في عمليات الترميم ولو الظاهرة منها، كاستخدام نفس مواد البناء التي أنجزت به في حينها مع تحسينات تتعلق بتقنية الإنجاز .

أما من الناحية التخطيطية فربما يربط بمحاور خضمر موشاة بالنخيل والمياه وترفيفية تربطه بجبهة نهر دجلة من جهة الشرق وبالأحياء المحيطة من الجهات الأخرى التي تكثفت إزدحاماً سكانياً سيشكل متنفساً ترفيهياً لها، ومحاور أخرى تربطه مع حديقة الزوراء، وتسهل له حركة السيارات، ويضاف له مشروع مواقف سيارات ক্ষوء وعصري. ويمكن أن يخطط له أن يتصل مع مركز بغداد والكاطمية والمنصور من خلال مترو أنفاق خاص والأهم في الحكية التخطيطية أن يرسم له برنامج ناضج وكثوة للحدوى الإستثمارية واستغلال الفضاءات المعمارية المتعددة، ويستعمل البناء بنشاطات ترفيهية وثقافية واقتصادية ومهرجانية ورياضية وحتى سكنية وخدمية وترويحية، وإعلامية تعود بريعتها لتعويض حجم الاستثمار الضخم الذي اقتضاه المشروع والذي سينشط حتما حركة السياحة الثقافية بما يثيره من ذكرى لدى الزائر بخيالات الف ليلة وليلة.

سوف يكتسي المشروع شهرة سياحية، تحتاجها بغداد في قادم أيام النماء، غير تحريكه للإقتصاد خلال مدة الإنجاز والأهم أنه يعيد لبغداد بعضاً من إعتبارها التاريخي بعد الإهمال والإجحاف الذي لحق بها لسبعة قرون عجاف. ولأننسى أن مشروعاً كهذا يحتاج إلى طاقات مالية وبشرية كبيرة ، وسوف يكون أكبر مشروع إعادة بناء لمدينة درست في التاريخ، وأجزم أن العراق أحسن حالا من بولونيا مثلاً حينما عزمت على إعادة بناء المركز التاريخي لمدينة وارشو العاصمة(ستارا مياستا) التي دمرتها آلة الحرب النازية ومحنتها من الأرض.

كل ذلك يحدونا إلى التفكير جدياً في تبني مشروع عرفان موجه من محبي بغداد والعارفين بزجل فضلها على الدنيا، وجبرا لخواطر من يتباكي على ضياعها اليوم في الشرق والغرب من العرب والعجم، وربما يلجأ العراق إلى إطلاق حملة عالمية تبتناها منظمات الثقافة كاليونسكو والرأي العام العالمي، مثلما حصل مع مشاريع عالمية أخرى كان مشروع مكتبة الاسكندرية، التي كان صدام الأكثر بذخاً فيه على حساب جيع العراق.

ربما يكون ذلك قريباً يسبقه إعلان للنوايا ودعوة مفتوحة للحلم ، بما يمكن أن يمثله هذا المشروع "الحلم" هدية عرفان مقدمة من محبي بغداد بتاريخ ٢٣ تموز ٢٠١١ بمناسبة عيد ميلادها الـ ١٢٥٠ ، أطلال الله بعمرها.

ذهب إليه الأخبار، وقد نجحوا في العثور على

جزء مرسوم من الأسوار الخارجية وبعض الطاقات الداخلية في منطقة العظيفية على جانب الكرخ وفي مكان يقع وسط بساتين النخيل، لاسيما المتاخمة للمشاطئ وجزء منه يمتد تحت البيوت الشحيحة الموجودة حينئذ، مما استوجب التوقف عن البحث بسبب ما كان يحتاجه ذلك من طاقات لضرق أركولوجية كبيرة وتوفير سخي من الدولة. وفضلا عن صفح الحكومة البعثية عام ٢٠٠٠ ، أشارت فيه إلى أن جزءاً من تلك المدينة موجود حالياً تحت مياه نهر دجلة الذي غير مجراه قليلاً خلال السنوات الماضية. وأوضح المسؤولون عن البحث الحضري: ( إن الأمر يتطلب مبالغ ضخمة وعملاً كبيراً لرفع مئات الآلاف من الأمتار المكعبة من التربة والأتقاض ويحتاج إلى توفير الآليات الاختصاصية، وإن كشف الموقع يدويا وبالعاول أمر مستحيل). جاء الخبر أيام التسول البعثي إبان الحصار الكافرطمعاً في تمرير تجهيزات حفر ضخمة تحتاجها السلطة في مفاخرتها حينئذ. ونجزم أن الأمر برمته كان بعيداً من الواقع بسبب احتكار شاطئ النهر لعناصر السلطة، ولا يمكن ماساه.

إذ كان النهر غير مساره واكل جزءاً من الحصن المدور، فلا ضير في أن نزرخ البناء برمته إلى داخل البر البغدادي، بإتجاه الغرب،

حولها بغرض حركة الحرس الدائرية . وكانت للمدينة أربعة أبواب بأسماء البلدان المتجهة إليها وهي الشام والكوفة والبصرة وخراسان والمداخل من النوع المنكسر لغرض الحماية وتعلو كل مدخل قبة بأسقة لغرض الاستدلال عليه من بعد . أما المرافق السكنية والخدمية للعامة فتقع بين السورين الأوسط والداخلي .

وإزاء مخططها على شكل أرياض قاطعية الشكل مقسمة للدائرة وتشتمل على ديار إرتفاعها من طابق واحد حتى ثلاثة طوابق تطوق في العادة حوشاً سمانياً، وهي سنة بنائية واردة من الأعراف التخطيطية العراقية. ولقد أستعمل الطين بصيغه الساذجة والطينية ثم الأجرية أو المحروق (صخرج) بحسب الحاجة له. واكتنفت بناء الأسوار مساند نصف أسطوانية كما هي واردة في البنائات العراقية تحاشياً لظاهرة الإنعاج الهيكلي، الحاصل في الحيطان الضيقة، بما يحاكي تماماً أسوار مسجد سامراء وقبلة حصن الأخضر. وقد سقفت البنائات بال عقود والطوق والقبوات وكذلك القباب واستعمل الحد الأدنى من الخشب، لاسيما في التسقيف بطريقة الجسور الخشبية على بحور محدودة ومعقودة بالأجر في حرم المسجد وروفته، وكذلك في أساطينه (الدلكات) . وكانت الأساطين تعمل عادة من قطعتين معقبتين بالعتب والغرى وضيات الحديد . وأستفيد في التفتيز من خاصية ملاط الجص العراقي الذي يتصف بسرعة جفافه(شكة) كمونة للصلب الأجر . أما اللمسات الفنية فجسدها الجص السيط والملون(الفريسكو) والمنقوش بالحرز وربما بعض عناصر الريازة بالأجر . لقد مكثت المدينة صامدة دحاً .و سرعان ما دب بها الخراب بعد أن انتقل الخاصة العامة منها إلى الرصافة ثم الكرخ ثانية وامتست مدينة بغداد المنتقلة، تأخذ شكلاً شريطياً مسترخياً على جنبات مجرى النهر، وجاء خرابها تبعاً متداعياً من الصراعات السياسية وحروب الأمن والمأمون لا سيما حصار ابن ظاهر قائد جيوش المأمون لها عام ٨١٤م وخرابها بالتهنيج . ومع ما زاد الطين بله الإهمال الذي أصاب المدينة عند انتقال العاصمة منها إلى سامراء لمدة نصف قرن على يد العتصم عام ٨٣٥م. وفي عام ٩٤٠م تهدم قصر الذهب بسبب الإهمال والمطر الشديد، سبقه الخراب الذي خلفته ثورة المسادين على الخليفة المنتصر عام ١١٩٩م وتكسیرهم أبواب المدينة، كما فيضان دجلة المهول عام ٩٤٢م، كما يذكرك ذلك المنصبي و

أدى الأمر إلى سقوط الطاقات ثم تلاح اقتلاع بيابها الحديدية من قبل معز الدولة البويهي ونقلها لتحصير عام ٩٦١م، وبقية وصف ابن بطوطة لمسجدها، الذي زاره عام ١٣٢٧م وأواخر التاريخ لأثار المدينة المدورة التي درست لاحقاً .

وفي القرن العشرين وفي زمن المخاض الجديد لبغداد، اجتهد لثيف من الباحثين وعلى رأسهم يرد اسم هرزفدل وكريزويل ومصطفى جواد وأحمد سوسة ،الذين لم يتروكوا وصفاً مدوناً لها دون إخراجها وأهمها ما ذكره الخطيب البغدادي وابن الجوزي وياقوت الحموي وأسحق الأزدي واليعقوبي. وبعد التمهيد والمقارنة في الروايات، ومحاولة تحديد قطر المدينة من خلال إعادة قراءة المقاسات التي حددت بالنزاع والذي قدر بـ٥ سم تقريبا.ومن خلال تحليل حساب المحيط استقر الرأي على أن قطرها يبلغ ٣١٥١ م .وهذا المقاس اعتمده المعمار (لستراخ) في إعادة تخطيط المدينة وتجسيد صورتها الأولى.وقد حاول إظهار المساقط كلها والتفاصيل البنائية والزخرفية في الرسم ، بما يمكن أن يكون اجتهداً لا يداني، بما يتطلبه ذلك من خيال جامع، يرافقه التبجر في ماتيوحه مواد البناء المستعملة ومقرناً وملماً خصوصيات طرز البناء المستقا من المقارنات التاريخية. كما الحال في الكوفة وأواسط و سامراء والرقعة وقصر الأخضر.

وقد حث الخطى المعمار والحفري الأنكليزي كريزول( ١٨٧٩-١٩٧٤م) والعالم العراقي دممصطفى جواد (١٩٠٤-١٩٦٩) في نهاية الأربعينيات بمحاولة العثور على اثر يؤكد ما

## من أجل أمي... (١)



وجدت أمي حانقة، حانقة عليّ جداً، كان وجهها المحصور بظوئها الأبدية السوداء متنعماً، وكان الظلام بملأ حضرتي وجنتيها، كانت قد أحضرتني إليها في الوقت الذي تملكه هي، ولا أملك منه، أنا، وحتى ثانية صغيرة، وينبس عذابها الصموت الذي أخرجتني به إلى الدنيا وجنتها، وارتعت حين رأيت تقاطيعها نهب فتناعتها الأليمة الرأسخة بأنني المسؤول عن إقامتها في هذا المكان منذ أربعين عاماً... لم أستطع أن أقبل بيدي أو أرتمي على قدميها بأشواق الأعمار الأربعين، وإنقلت لهفتي خوفاً في كل خطوة قدمتها إليها وحين انتزعت يدي مني رأيت أسنانها تطبق على أصبع في كفي اليمنى، لكن لم أر الدم الذي سال وما أحسست بوجع الأصبع المعضوض في الظلمة الباردة...

أنجاني النهار من عقاب أمي، لكنه لم يزرخ صخرة الإثم التي جثمت على صدري، ورأيت، في نهاري الناجي، الملعقة التي نقلت، في صباح عتيق، على فريض شمتل بالنار قبل أن ترتفع وتطير في الهواء، فتحرق في طيرانها، الهباءات الصغيرة الشاردة في الفضاء وتسقط بناهرا على كفي... تلك كانت عاقبة بكائي... ترفع أمي لمعلقة النار بطرف فوظلتها العتيدة وتدسها في باطن يدي، لتتقذ نفسها من عويلي مصدر عنذابها الطويل... وهكذا قدر لي أن أرى ثمرات دموعي كرات صغيرة بأغشية رفيقة تنفخها نار الملعقة تحت جلد يدي... كم كان عدد تلك الكرات المؤلمة التي تلقفتها طفولتي الباكية؟ كم كان عدد الملاعق التي حملت جرعات النار ودوات بها أمي، بلا أمل، مرض بكائي؟ أتى لي أن أعرف وأنا أجهد أعداد الدموع التي أسقطتها عياني في عمر من البكاء؟... غالباً ما كانت عقوبة الكي تنتهي بذيل طويل من العذاب، فقد كان يجري إذلالني علناً لأكون درساً لأترابي الذين كانت ترغمهم أمهاتهم على مشاهدة التفاحات الموجهة التي تشوه يدي الصغيرة، كنت أرتعب كلما انتزعت يدي مني وعرضت بكراتها الرخوة وقد انبتقت من بطن كفي وظهريها، وتدلّين بأغشيتهن الصفو الواهنة، وكان شعوري بالمهانة يذكي رغبتني في البكاء... كنت أقاوم ناهي يدي، وأكافح الأصابع الضعيفة التي تتقذف كالديابيس لتفخّ كراتي المنتفخة فلا أفلح إلا بعد أن أتكبد موجه عاتية من البكاء، حينذاك أطاق ويكون بمقدوري أن أذفن يدي التي عوقبت تحت إبطي...

كانت أمي تحذلي لتزيد من آلامها، وكنت ألمحها تبكي بلا دموع على طلست تتصاعد من قاعة أبيضه مائه الساخن فيما كانت أصابع يديها العاريتين إلى المرهقتين تنتفان بلا هواده ريش دجاجة غرفت في الحوض المعدني الحامي...

كنت أراها بدموعي تمسح ندمها بساعدها المعروف بالريش الميتل كلما وجدت عزابها فيما تقوله أمهات أترابي: كان الله في عونك.

لم يرحل عني بكائي إلا بعد أن رسم وجهي بعلاماته، جفنين تورما، وشفتين تهدلتا، وأنف انتفخت أرنباه، وحز ينطلق من بين حاجبي شاقفاً جبتهي، وبين هذه العلامات كان يشق على إسماعتي أن تجد مكاناً على صفحة هذا الوجه الباكي... شغلتي عقوبة الليل عن كل شيء، وفكرت في أمي، وقلت: " لا بد من أن بكائي البغيض يقيم الآن معها وينغص عليها مكانها الذي فرت إليه متخلة، حتى عن جحيري..."

## رجاء الصانع.. تفصح أسرار السعوديات في " بنات الرياض "



ساعات لمناقشة أحداث الإيمل الأخير، هذه الرسائل الغربية قامت بخلق ثورة داخل المجتمع السعودي الذي لم يعتد مثل هذه الأمور، وبعموم الرواية، ولا نريد أن ندخل بتفصيلاتها، كانت الرواية تفرز بناتها المراهقات على أنهن متمردات ويعانين ضغوطاً نفسية واجتماعية كثيرة وياملن أن يفخرن من الواقع ولو بحده الأذني، المشاركة بالحياة من ابوابها الواسعة، وظلت الرواية تدور في هذه الحلقة وتستنتج علائق البنات الأربع من خلال رجات غرامية قد تشغل وقد تنجح، واعتمدت رجاء الصانع منها فنياً واحداً على مدار الرواية، وهو (الإيميلات) مستفيدة من هذه التكنولوجيا الحديثة كتشكل جديد في الرواية العربية، أي أن منهجية الرواية الفنية كانت تستند إلى جدار من الرسائل التي تبعث كل يوم جمعة إلى مشتركي الإنترنت، بمعنى أن (بنات الرياض) هي رواية رسائل ، وهذا ما جعل هذه الطريقة تبدو مملّة ومكررة، لاسيما أن الصانع استخدمت أكثر من لهجة محلية وعربية وأجنبية، مما جعلها لا تنسجم كثيراً مع التلقي العام) \*بنات الرياض) رواية اجتماعية نفذت إلى قلب المجتمع السعودي من بوابة الرياض وكان هذا النفاذ مدروساً بعناية ومخططاً له إلى حد الإلتقان، والمؤلفة وهي تشكل روايتها الأولى من علاقات اجتماعية سرية وتفضضها عبر الرسائل الأسبوعية، كانت تدرك حجم المخاطرة في مجتمع ذي ثوابت معروفة، لكنها كانت تراهن على الذائقة المنفتحة في المجتمع، وهي ذائقة ثقافية في مقامها الأول، لكن المفاجأة أن العامة من القراء أدكوا روح الجدل الذي لم ينته بعد \*فكرة الرسائل الإيميلية جريئة كتقنية روائية جديدة، ولكن السؤال: هل أزادت رجاء الصانع أن تحاكم الواقع أو أن تفضحه عبر هذه الرسائل الشائعة في المواقع الإلكترونية المنتشرة في المجتمع السعودي؟ تفصيلات الرواية كثيرة ومتشابهة، والفتيات الأربع اللواتي يشكلن محور الرواية من النموذج الذي بنت عليه "الصانع" مجتمعا مضملياً يبحث عن ذاته وسط العلاقات اليومية، ولم تكن الصانع قادرة كثيراً على لم شتات الواقع عبر فتياتها الأربع، بتكثيفه وروايتها واختصارها بما يسمح للرواية أن تحيط بموضوعها، إلا أنها أثرت الاسترسال الطويل وتبععت خطوات الفتيات بطريقة الحكى والقص التقليدي، وهذا ما أفقدها الكثير من خصائصها الجمالية، وبدت الرواية وكأنها حشد من السطور الوثائقية \*سمرت الحكى الفتيات الصغيرات أسيرات الروايات وأسبوعيات التفرقات كما لو أنهن يتنّ في ذمة الدكتورة الجميلة \*رجاء الصانع

في الرياض، وعندما يزاح الستار ينجلي أمامنا مشهد بكل ما فيه من أشياء كثيرة، مضحكة ومبكية بكل التفاصيل التي لا يعرفها مخلوق من خارج هذا العالم الساحر المسحور، هذا عمل يستحق أن يقرأ وهذه الروائية

انتظر منها الكثير \*ومن ثم تحولت الرواية إلى مادة جدلية دافعت فيها الكاتبة عن روايتها بجدارة أكثر من مرة ونفت أن تكون روايتها حملة ضد فتيات الرياض، مؤكدة في الوقت نفسه أن "ثمة تشابهاً مع الواقع" وكان الشاعر عبدالرحمن العشماوي . ذو توجهات إسلامية . اعتبر هذا الأدبي " برمته ضعيفاً لغرضه وأسلوبها" والرواية "خطيئة أدبية" مطالباً الكاتبة "بإعلان براءتها من الرواية" غير أن رجاء الصانع نفت عزمها الاستجابة لذلك المطلب داعية الأدباء والنقاد "النظر إلى الأعمال الروائية على أنها مزج بين الواقع والخيال" وقد وصفت الكاتبة ريم الصالح هذه الرواية بأنها "واقعية حقيقية بعيدة عن الإسفاف" إلا أن الكاتب فهد سعود اعتبر الرواية صرعة، كما اعتبر الناقد محمد العباس أن روح الرواية أو لا وعيها ربما، يعكس جانباً من الحدأة الاجتماعية، والرغبة الأكيدة في تحميم مفهوم الليبريتانية التي تبناها الرجل كمتنقذ لتأنيب كل علاقة خارج أطر المؤسسة والأعراف الاجتماعية، رغم تورطه في تحديها الصوري \*وكان الدكتور صالح بن معيض الغامدي استغرب إصرار الكاتبة على اعتبارها "إن هموم هذه الشريحة من الفتيات وتطلعاتهن تمثل فتيات الرياض أو السعودية" مستيراً إلى أن ربط مدينة الرياض بأحداث وشخص أقل ما توصف به أنها صامدة أو في الأقل غير عادية أبداً، وقال عبدالمحسن الرشود: إن هذا العمل الأدبي الجميل يفيد أي شاب يريد أن يتعرف على مرتكزات الفكر النسوي العاطفي المعاصر أو يريد الزواج ويتعرف على الآليات الفنية للحصول على إعجاب الفتاة

الإنترنتية \*هو بمثابة دليل عاطفي اجتماعي إلى الطريق دون خسائر عاطفية كبيرة \*كما أنه يشي بالأشياء التي تفكر بها فتيات هذا الجيل، من طرق تعارف، وأسلوب محادثة، وأنافة، وعطور واكسسوارات، ومكان اللقاءات، وقالت مها فهد الحجيجان: إن الرواية تحاول الكف عن المسكوت عنه في المجتمع

أما رجاء الصانع فتقول: بنات الرياض تأريخ لجنون فتاة في بداية العشرينيات\* أشعر وكأنني أبيع القراء تذاكر لدخول عقلي والتجول فيه بحرية؛ روايتي الأولى هي هويتي الحالية وجواز سفري، مزدحمة بأفكار وأحلام ومخاوف ومطالعات وأحداث جمعتها خلال عمر قصير \*هي فصح مشاغب لأسرارنا أنا وصديقاتي، مهمونا، أفراننا، أحرزاتنا، أمانينا الكبيرة التي لا نعترف بها أمام الغرباء، دموعنا التي لا نذرّفها سوى خلف أبواب موصدة \*جد نفسي أقتبس ثانية من روايتي تعبيراً ينطق على وهو أنني (إسفنجة) أمتص ما يبرسي من مواقف عابرة في هذه الحياة قد لا يهتم بها الآخرون لبساطتها وتكرارها \*ويتمت الرواية على فرشة اجتماعية واسعة من الحياة السعودية في أسرارها اليومية عبر استخدام تقنية (الشات الكمبيوترية التي أحدثت ضجة في المجتمع المحلي السعودي، بسبب فتاة مجهولة ترسل نهار كل جمعة "إيميل" إلى معظم مستخدمي الإنترنت في السعودية تفضح فيه أسرار صديقاتها من الطبقة الأرستقراطية، وتطل الكاتبة كل أسبوع بتطورات وأحداث شائقة جعلت الجميع بانتظار يوم الجمعة للحصول عليها، وتقلب الدوائر الحكومية والمستشفيات والجامعات والمدارس صباح كل سبت إلى

قلما حظيت رواية خليجية من شهرة ونقد وتقرير وهجوم وإعجاب، مثلما حصل لرواية (بنات الرياض) للسعودية الشابة رجاء الصانع والتي حصدت الرقم الأول في مبيعات عام ٢٠٠٥ ومثل هذا التناقض الذي شارك به القراء لأول مرة في تاريخ الرواية العربية يشي بأن الرواية وصلت إلى أهدافها بيسر وسهولة، وقد حققت نجاحها في الانتشار المطلوب، الأمر الذي يستدعي منا الوقوف أمام هذا العمل الذي أثار الكثير من الضوضاء الإعلامية بمشاركة واسعة من المثقفين ورجال الدين على حد سواء

قال عنها الناقد عبدالله الغدامي: "إن الرواية ذكية وجاءت في الوقت الذكي" ، وهو دفاع صارخ لناقد عرف عنه اجتهاده النقدي وسعيه إلى تأسيس نقد ثقافي عربي، ولا شك في أن الغدامي أدرك بعد قراءة الرواية أن رجاء الصانع قد اخترقت التابو الاجتماعي السعودي وقفزت على الحرمات اليومية وقدمت عملها كوثيقة من وثائق المجتمع الذي تكبله قيود اجتماعية كثيرة، لذلك جاءت استغالات الرواية على هذا التوتر الحساس وهي تدرك حجم المغامرة الأدبية التي انقادت إليها بشجاعة أدبية تحسد عليها \*كما قال الشاعر والروائي "غازي القصيبي": " في عملها الروائي الأول تقدم رجاء الصانع على مغامرة كبرى، تزج الستار العميق الذي يخبئ

عالم الفتيات المثير

